
مسابقة
الواتساب
الدعوي
المغربي
ترسل المقالات إلى البريد الإلكتروني
whatsapp.mosabaka@gmail.com
آخر أجل لاستقبال المقالات
07/10/2013
15
يوما لاستقبال المقالات
facebook.com/da3waWhatsappMaroc
أفضل مقال في موضوع:
وجوب الرجوع إلى العلماء في الفتن
الضوابط والشروط المتبعة:
١ - أن لا تتعدى كلمات المقال 2000 كلمة.
٢ - القدرة على الكتابة الجيدة والرصينة.
٣ - أن لا يكون المقال منقولا أو نشر من قبل.
٤ - تجنب النقولات الطويلة.
٥ - الباب مفتوح للجميع ذكورا وإناثا من المغاربة داخل الوطن فقط.
٦ - ضرورة كتابة الاسم الكامل والهاتف في الملف.
٧ - ضرورة كتابة البريد الإلكتروني والعنوان والمدينة في الملف.
٨ - يرسل المقال بصيغة word لبريد المسابقة.
جوائز المسابقة
المرتبة الأولى:
فتح الباري شرح صحيح البخاري
المرتبة الثانية:
شرح النووي على صحيح مسلم
المرتبة الثالثة:
شرح رياض الصالحين لابن عثيمين
اللجنة المشرفة: الشيخ محمد الفرعني - الشيخ نور الدين درواش - الشيخ عبد العزيز لمسلك.
ملاحظة: الفائز مخير بين الكتاب وسعره وذلك لأن الفائز قد تحوي مكتبته الكتاب نفسه أو يكون بحاجة لغيره من الكتب.

بسم الله الرحمن الرحيم

## وجوب الرجوع إلى العلماء في الفتن

الحمد لله الذي رفع السماء، وزينها بالنجوم، فمنها مصابيح للضياء، ومنها رجوم للشياطين الأعداء، وسوّى الأرض وقدر فيها أقواتها وزينها بالأنبياء، وورّث من بعدهم أهل الفضل من السادة العلماء.

والصلاة والسلام الأتمّان الأكملان على خاتم الرسل والأنبياء، المبعوث للعالمين بالمحجة البيضاء، رحمة من رب الأرض والسماء، من طابت ببعثته الحياة، وتحقق لمن آمن به واتبعه الأمن من الدرك والشقاء، وعلى آله الطيبين وصحبه أولي العلم والحلم والحياء.

وبعد:

هذه مقالة سودت فيها بعض الحجج والأدلة الدالة على وجوب الرجوع إلى العلماء زمن الفتن، وبعض النماذج الحية من تراث سلفنا الصالح رضوان الله عليهم تعضد هذا الطرح وتسنده وتقويه؛ مع اعترافي أني لن آتي فيها بجديد، وإنما سأحاول جمع حبات هذا العقد من أماكن متفرقة، والتأليف بينها ونظمها في خيط ناظم به تكتمل زينتها، وسأمد رجلي على قدر لحافي، سائلا المولى عز وجل أن تحيط قلادتي بالجيد وسواري بالمعصم، وأن يكون جهدي للثواب قانصا ولوجهه عز وجل خالصا.

سأتناول الموضوع في ثلاث محاور، أخصص أولها لتعريف الفتن والمقصود بالعلماء، أما ثانيها فسيكون عمود البحث وصلبه بالاستدلال على وجوب الرجوع إلى العلماء زمن الفتن، على أن أفرد المحور الأخير بنماذج وأمثلة من الفتن الماضية وأحوال الناس فيها من عامة وعلماء.

### المحور الأول: تعريف الفتنة والعلماء

#### أولا: الفتنة لغة واصطلاحا

الفتنة لغة: هي الامتحان والابتلاء والاختبار، وهي من فعل فتن، نقول فتن الذهب إذا وضعه في النار وأوقد عليه حتى يتميز الذهب الصحيح عن المغشوش.

أما اصطلاحا فتأتي الفتنة بمعان شتى، هناك من أهل العلم من تتبعها في القرآن الكريم، والسنة النبوية فوجدها تصل إلى العشرة أو أكثر بقليل.

فقد تأتي الفتنة بمعنى العذاب: ﴿يَوْمَ هُمْ عَلَى النَّارِ يُفْتَنُونَ ﴿١٣﴾ ذُوقُوا فِتْنَتَكُمْ هَٰذَا الَّذِي كُنتُم بِهِ تَسْتَعْجِلُونَ ﴿١٤﴾﴾ الذاريات: ١٣ – ١٤

وقد تأتي بمعنى الزيغ والضلال كما في قوله عز وجل في الحديد: ﴿وَلَٰكِنَّكُمْ فَتَنتُمْ أَنفُسَكُمْ﴾ الحديد: ١٤ كما تأتي بمعنى الاختبار كقوله عز وجل في الأنبياء: ﴿وَنَبْلُوكُم بِالشَّرِّ وَالْخَيْرِ فِتْنَةً﴾ الأنبياء: ٣٥ وفي العنكبوت: ﴿أَحَسِبَ النَّاسُ أَن يُتْرَكُوا أَن يَقُولُوا آمَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ ﴿٢﴾﴾ العنكبوت: ٢ وتأتي بمعنى الصد عن سبيل الله: ﴿وَاحْذَرْهُمْ أَن يَفْتِنُوكَ عَن بَعْضِ مَا أَنزَلَ اللَّهُ إِلَيْكَ﴾ المائدة: ٤٩ وتأتي بمعنى الشرك والكفر كما في البقرة: ﴿وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّىٰ لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ الدِّينُ لِلَّهِ﴾ البقرة: ١٩٣ وبمعنى الإضلال كما في قول المولى عز وجل: ﴿وَمَن يُرِدِ اللَّهُ فِتْنَتَهُ فَلَن تَمْلِكَ لَهُ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا﴾ المائدة: ٤١ وبمعاني أخرى منها القتل والأسر، والجنون، واشتباه الحق والباطل... الخ.

إلا أن ما يهمنا في هذا البحث هو الفتنة بمعنى الهرج والمرج، وكثرة القتل، واختلاط الحابل بالنابل، مما يصعب معه التمييز بين الحق والباطل، فتلتبس المواقف، وتدلهم الخطوب وهو ما يسمى في كتب المصنفين بالملاحم وفتن آخر الزمان.

## ثانيا: تعريف "العلماء".

إذا أطلق لفظ العلماء مجردا فغالبا ما يقصد به حملة العلم الشرعي الذين هم ورثة الأنبياء، دون غيرهم من أصحاب العلوم المادية والتجريبية. فالعلماء الربانيون الصادقون هم من ورثوا عن أنبياء الله وظيفتهم في الدعوة إلى الله وبيان الحق من الباطل وإرشاد الحيران وهداية الضال.

وللعلماء الربانيين أوصاف بها يعرفون، أهمها خشية الله التي بها مدحوا في كتاب ربهم: ﴿إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ﴾ فاطر: ٢٨

وثانيها معرفة الله بصفاته وأسمائه، معرفة حق وتعبد لا معرفة ثقافة ومعلومات.

ثالثها العمل، لأن العلم يقتضي العمل وإلا استكثر المرء على نفسه من الحجج.

رابعها التواضع لله أولا، ولخلقه ثانيا، لأن المرء كلما تعلم اتسعت دائرة المجهولات عنده.

خامسها أن يستوي عنده المدح والذم، لأن العالم الرباني متاجر مع الله فلا يخاف فيه لومة لائم ولا يغريه مدح مادح.

## المحور الثاني: وجوب الرجوع إلى العلماء في الفتن

### أولا: إخبار النبي صلى الله عليه وسلم عن الفتن

من دلائل نبوته صلى الله عليه وسلم، وصدقه وصدق ما جاء به، إخباره عن كثير من الأمور الغيبية السابقة واللاحقة، فكم من أمر أخبر به صلى الله عليه وسلم أو حدَّث به، فجاء ووقع كما حدث به تماما، (**كتولي أبي بكر بعده واستشهاد عمر ومن بعده عثمان بعد فتنة وبلوى تصيبه وفتح بلاد فارس والروم...**)، وبقيت أحداث كثيرة أخبر عنها وفصل في وصف تفاصيلها تكون في آخر الزمان تدلهم فيها الخطوب وتكثر فيها الفتن ولا شك عندنا في وقوعها، ولا ريب في حدوثها وفق ما أخبر وحدث به صلى الله عليه وسلم (**كأشراط الساعة وخروج يأجوج ومأجوج والدجال وكثرة القتل وتفشي الفواحش والربا وكثرة الحروب...**)، ولسان حالنا قول عبد الله بن رواحة:

أَرَانَا الْهُدَى بَعْدَ الْعَمَى فَقُلُوبُنَا ... بِهِ مُوقِنَاتٌ أَنَّ مَا قَالَ وَاقِعُ

### ثانيا: وصفه صلى الله عليه وسلم للفتن

كما هو هديه صلى الله عليه وسلم في إرشادنا للخير وتحذيرنا من الشر، جاءت الأحاديث مستفيضة في وصف الفتن والملاحم، ليسهل على المؤمن التعرف عليها وحسن التعامل معها.

فنجده صلى الله عليه وسلم يصفها بالقتامة والسواد (**لظهور الغلاء وكثرة الهرج والمرج أي القتل وكثرة العقوق وتفشي الفواحش**) في أحاديث كثيرة، ويصفها بقطع الليل المظلم لتشابكها وكثرة طبقاتها وتجلياتها، ويصف من أدركها وتمسك بدينه كالقابض على الجمر من هول ما سيلقاه، في أحاديث أخرى، وأحيانا أخرى يصفها بموج البحر كناية على قوتها وشدتها وتتابعها، وفي ذلك أيضا تعريض بحال مصارعها من ضيق صدر واختلال توازن وانقطاع نفس وهو حال مصارع الموج عموما.

وبذا تصبح عندنا صورة واضحة عن الفتن، وعن حال من أدركته، ليصبح السؤال كيف السبيل إلى النجاة منها وما هي الطريقة المثلى للتعامل معها؟

## ثالثا: تعامل المؤمن مع الفتن

بداية نقرر أن الفتنة التي نتحدث عنها هي التي يختلط فيها الحق والباطل، ويحار فيها الحليم، أما الفتنة التي يظهر فيها الحق وترجح كفته ولو بالقليل فالواجب على المؤمن أن يبلغ وسعه في التعرف على الحق واتباعه حتى لا يكون إمعة كما حذر من ذلك المصطفى صلى الله عليه وسلم.

وبذا تجب على المؤمن زمن الفتن المدلهمة أعمال نوجزها في ما يلي:

- العلم الشرعي الذي به تكون النجاة.
- التمسك بالدين: خاصة العبادات، فالعبادة في الهرج تعدل هجرة إلى النبي صلى الله عليه وسلم.
- اعتزال الفتنة ولزوم البيت.
- عدم المساعدة لا بسيف ولا برمح، بل وجهنا صلى الله عليه وسلم إلى إتلاف ما بأيدينا حتى لا يستعمله غيرنا في الفتنة.
- التوبة النصوح والأوبة الصادقة إلى الله عز وجل.
- الثبات والتثبت وعدم تلقف الشائعات ونشرها.
- الابتعاد عن الرويبضات.
- الرجوع إلى أهل العلم من العلماء الربانيين.

وسأتوسع قليلا في الواجب الأخير في النقطة الموالية.

## رابعا: وجوب الرجوع إلى العلماء

الدعوة إلى الرجوع إلى العلماء ولزوم غرزهم، لا تعني الرجوع إلى كل من تزيى بزيهم، أو تشبه بهم وبألفاظهم، وإنما تشترط فيهم ثلاثة شروط:

الرجوع إلى العلماء الكبار: لرسوخهم في علم الكتاب والسنة، ولقدم تجاربهم، وكثرة احتكاكهم بتجارب الأمم السابقة من خلال دراسة قصصهم، مما يعطيهم آفاقا واسعة في دراسة المستجدات واستلهام الصواب من ركام الباطل. وهو ما نجده عند السلف الصالح كما في قصة التابعين الذين تركوا أقرانهم وأتوا الصحابي الجليل أنس بن مالك رضي الله عنه يشكون إليه ظلم الحجاج فقال لهم: "اصْبِرُوا، فَإِنَّهُ لَا

يَأْتِي عَلَيْكُمْ زَمَانٌ إِلَّا الَّذِي بَعْدَهُ شَرٌّ مِنْهُ، حَتَّى تَلْقَوْا رَبَّكُمْ، سَمِعْتُهُ مِنْ نَبِيِّكُمْ صلى الله عليه وسلم". رواه البخاري.

الرجوع إلى العلماء الربانيين: أي المعروفين بتعليم الناس العلم وبنشر الخير بين الناس، والموسومين بالعمل بمقتضى ما يعلمون، لا المتعالمين الذين يظهرون زمن الفتنة ينشرون الكلام ويخالف عملهم قولهم.

الرجوع إلى علماء البلد: لأنهم الأقدر على فهم ملابسات الفتنة والإحاطة بكل جوانبها، تماشيا مع قاعدة جلب المصلحة ودرء المفسدة التي لا تكون إلا بفقه الواقع الذي حدثت فيه الفتنة.

## المحور الثالث: نماذج لفتن سابقة وتعامل الناس معها

### أولا: فتنة الردة

بعد وفاة النبي صلى الله عليه وسلم وتولي أبي بكر رضي الله عنه الأمر من بعده، كانت أول فتنة في العهد الجديد، حيث ارتدت بعض القبائل عن الإسلام وادعى بعض الكذبة النبوة، مع العلم أن الردة كانت على ضربين: صنف من الناس ارتد عن الإسلام بالكلية كطليحة ومسيلمة وأصحابها، وصنف ثان بقوا على الإسلام ورفضوا إعطاء الزكاة، لشبهة نشرت أن المعنى بـ: ﴿خُذۡ مِنۡ أَمۡوَٰلِهِمۡ صَدَقَةً﴾ التوبة: ١٠٣ هو النبي صلى الله عليه وسلم وبالتالي انتهى الحكم بوفاته. فكيف تعامل الناس في هذه الفتنة؟

لقرب العهد النبوي لم يكن هناك اختلاف كبير بين الصحابة، فقد كان الالتفاف على كبير علماء الصحابة وهو الإمام في نفس الوقت، الذي جيش الجيوش لقتال المرتدين ولم يأبه لمخاوف وتردد بعضهم، بل قطع الشك باليقين بكلمته الخالدة: "والله لأقاتلن من فرق بين الصلاة والزكاة". ليئد الفتنة وأدا ويصفي الباطل تصفية.

### ثانيا: فتنة مقتل عثمان رضي الله عنه

بعد فتنة الردة بزمن ليس باليسير(سنة 35 هـ)، كانت فتنة أدهى وأمر، نعني فتنة مقتل عثمان رضي الله عنه على أيدي البغاة المتنطعين ومن وافقهم من ذوي النفوس الدنية المتشوفة للرئاسة، وهنا ادلهم الخطب، وظهر اختلاف المواقف، وتخلخل الصف، فظهرت ثلاثة تيارات كبيرة ينبني كل واحد منها على فهم معين لكيفية التعامل مع الواقعة.

**التيار الأول**: يتزعمه علي رضي الله عنه يرى أن القصاص من قتلة عثمان رضي الله عنه واجب، ولكن يجب أن يؤجل حتى تستقر الأوضاع ويستتب الأمن.

**التيار الثاني**: تتزعمه أم المؤمنين عائشة وطلحة بن عبيد الله والزبير بن العوام رضي الله عنهم أجمعين، وكان رأيهم وجوب القصاص أولا لكن بعد مراجعة علي لهم ومناقشتهم في مذهبه، بايعوه على أن يتم القصاص لاحقا حين تستقر الأوضاع.

**التيار الثالث**: يتزعمه معاوية بن أبي سفيان رضي الله عنه، ويرى أنه ولي الدم ولا بيعة حتى يقتص لعثمان، لأن القصاص حد من حدود الله ومن عطله كمن عطل العمل بالقرآن الكريم كاملا، وبذا لم يبايع عليا رضي الله عنهم أجمعين.

وبهذا نخلص إلى أن الفتنة تكون مفرقة للصفوف، ولا يعلم شرها إلا العلماء الراسخون، كما هو حال علي رضي الله عنه الذي تبين له خطورة القصاص في هذه الظروف، ومن الحكمة العمل على استقرار الأوضاع وتربية الناس من جديد على تعظيم أمر الله وإظهار الحق أولا. وهو ما لم يستسغه غيره من المتحمسين من الصحابة.

**ثالثا: فتنة خلق القرآن**

ظهرت هذه الفتنة على يد المعتزلة زمن الخليفة المأمون، وادعوا أن القرآن مخلوق كسائر المخلوقات، وأنكروا صفة الكلام عن رب العزة، وكان المأمون محاطا بهم وبأتباعهم، فبدأت المحنة بامتحان العلماء وإجبارهم على القول بخلق القرآن.

فاختلف العلماء إلى أربعة أصناف:صنف قال بقولهم ودعا بدعوتهم، وثان خالفهم ابتداء وبعد الامتحان وافقهم، وثالث توسط القولين وعمل بالتقية أحيانا وبالتملق والمداهنة أخرى، ورابع كفر بقولهم وأعلنها صريحة مدوية أن القرآن كلام الله ليس بمخلوق، وثبت رغم الابتلاء والتعذيب والسجن، وزعيمهم الإمام أحمد بن حنبل ومحمد بن نوح.

**خاتمة**

وهكذا لكل بداية نهاية، فها هو مركبي يوشك أن يرسو بمينائه، وخير العمل ما حسن آخره وخير الكلام ما قل ودل، فالله أرجو أن أكون موفقا في طرحي، موقدا لشمعة ولو صغيرة تنير بعض جوانب هذا الموضوع، فها هي بضاعتي عرضت أمامكم، وإن كنت قليل البضاعة، وهذه أفكاري تزف إليكم، فإن لقيت قبولا فإمساك بمعروف وإن كانت الأخرى فتسريح بإحسان والله المستعان.

**الاسم: كمال الكرد أبو عثمان مركز الاودابة مراكش**

❋ **ملحوظة**: هذا المقال حاز على الرتبة الثالثة في مسابقة أحسن مقال في موضوع وجوب الرجوع إلى العلماء في الفتن التي نظمها الواتساب الدعوي المغربي

**https://www.facebook.com/da3waWhatsappMaroc**